زوائد المؤلفات على

كتب المنهج الدراسي

رسالة شرعية عالمية

معهد المنهج الدراسي الميسر

من المستوى الأول إلى الثاني عشر

التعليق

على

الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة

للشيخ عبد الله بن إبراهيم بن عثمان القرعاوي

تأليف

أبي عبد الله محمد المصنعي

وفقه الله تعالى



زوائد المؤلفات على
كتب المنهج الدراسي الميسر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة[١]

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله – صلى الله عليه وسلم. أما بعد[٢]:

فإنه لا صلاح للعباد ولا فلاح ولا نجاح ولا حياة طيبة ولا سعادة في الدارين ولا نجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، إلا بمعرفة أول مفروض عليهم، والعمل به، وهو الأمر الذي خلقهم الله عز وجل له، وأخذ عليهم الميثاق به، وبه حقت الحاقة، ووقعت الواقعة، وفي شأنه تنصب الموازين، وتتطاير الصحف، وفيه تكون الشقاوة والسعادة[٣].

وعلى حسب ذلك تقسم الأنوار، ومن لم يجعل الله له نورًا، فما له من نور، وذلك الأمر هو

(١) كان التعليق على الكتاب ١٤٤٦ رمضان بمكة زاها الله تعالى تشريفًا.

(٢) الابتداء بالبسملة والحمد لله تعالى مستحب بالإجماع، نقله القرطبي والحافظ وغيرهم، وأجمع الصحابة على افتتاح القرآن بها، معنى (الحمد لله): الثناء على الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى مع المحبة والتعظيم والخضوع له سبحانه.

(٣) اعلم أن فقر العبد إلى لله تعالى أن يعبده ولا يشرك به شيئًا وبذلك يسعد وبذلك ينشرح وبذلك يرتاح.
فإن حقيقة العبد قلبه وروحه ولا صلاح لهما إلا بإلههما الله الذي لا إله الا هو.
ولو حصل للعبد لذات أو سرور بغير الله تعالى فلا دوام له؛ لأنه خلاف الفطرة والحق.
وكلما كان العبد أذل لله تعالى وأكمل توحيداً واتباعًا وطاعة وأعظم افتقارًا إلى ربه تعالى كان أقرب إليه وأكمل سعادة : ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾.

معرفة الله عز وجل بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وتوحيده بذلك، ومعرفة ما يناقضه

أو بعضه، من الشرك الأكبر والأصغر، والكفر الأكبر والأصغر، والنفاق الاعتقادي والعملي، ومعرفة الطاغوت والكفر به والإيمان بالله تعالى.

وقد كان الناس[١] من أهل نجد وغيرهم قبل دعوة الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في جهل بهذا الركن الأعظم والأساس الأكبر، وأصل الأصول ورأس العلوم، أعني: علم توحيد الألوهية.

وقد تفاقم هذا الخطب وعظم، وتلاطم موج الكفر والشرك في هذه الأمة وجسم، وطمست الآثار السلفية، وأقيمت البدع الرفضية والأمور الشركية[٢]. إلى أن أراد الله تعالى إزالة تلك الظلمات، وكشف البدع والضلالات، ونفي الشبهات والجهالات، وتصديق بشارة رسول رب الأرض والسماوات في قوله – صلى الله عليه وسلم –: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»، على يدي من أقامه هذا المقام، ومنحه جزيل الفضل والإنعام، أعني به الشيخ الإمام، خلف السلف الكرام، المتبع لهدي سيد الأنام، المنافح عن دين الله في كل مقام، شيخ الإسلام، محمد بن عبد الوهاب، أحسن الله له المآب، وضاعف له الثواب[٣].

فدعا إلى الله ليلًا ونهارًا، وسرًا وجهارًا، وقام بأمر الله في الدعوة إليه وما حابى أحدًا فيه ولا

(١) المراد: الكثير منهم، وإلا فأهل التوحيد ودعاته لا يخلو منهم زمان.

(٢) انتشر الشرك على يد الرافضة والصوفية والباطنية.

(٣) وقد عمت آثار هذه الدعوة الأرض فلا يكاد يخلو من دعاتها بلد، ولله تعالى الحمد والمنة، وجزى الله تعالى خيرًا آل سعود الذين هم سبب هذا الخير بمناصرة الدعوة وبذل المال في نشرهم في العالم.

داري، فعظم على الأكثرين وأنفوا استكبارًا، ولم يثنه ذلك عن أمر الله حتى قيض الله له أعوانًا وأنصارًا، فرفعوا ألويته وأعلامه حتى انتشرت في الخافقين انتشارًا.

وصنف رحمه الله تعالى التصانيف في توحيد الأنبياء والمرسلين، والرد على من خالفه من المشركين، ومن جملتها: "كتاب التوحيد" وهو فرد في معناه، لم يسبقه إليه سابق، ولا لحقه فيه لاحق، ومن ذلك: "الأصول الثلاثة" و"كشف الشبهات" .. وغير ذلك من المصنفات النافعة(١).

ولأهمية التوحيد وعظم شأنه، طلب مني بعض إخواني في الله تعالى أن أجمع متنًا مختصرًا فيما يجب أن يعتقد، وبه يعمل، ومنه يتعلم، يسهل على الطالب المبتدي حفظه، ولا يستغني الراغب المنتهي عن فهمه، فيسر لي ربي تبارك وتعالى ذلك، ووفق سبحانه وألهم أن جمعت من تقرير هذا الإمام وأحفاده وفيه عن غيرهم، فلله الحمد على ذلك وغيره من المنن لا أحصي ثناء عليه، وأسميته: "الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة".

أسأل الله تعالى أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفعني به في الحياة وبعد الممات، وكل من قرأه أو سمعه أو نظر فيه، إنه ولي ذلك والقادر عليه(٢).

قال ذلك وأملاه الفقير إلى عفو ربه ومولاه

عبد الله بن إبراهيم بن عثمان القرعاوي. القصيم - بريدة.



---

(١) وهذه الكتب وغيرها صارت معتمدة في التدريس في غالب مساجد أهل السنة في العالم.

(٢) وهذا الكتاب مما حظي بالتدريس، ولنا عليه شروح صوتية، وإجازة.

[الأصول الثلاثة]

الأصول الثلاثة التي يجب على كل مسلم ومسلمة تعلمها

وهي: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه محمدًا – صلى الله عليه وسلم[(١)].

فإذا قيل لك: من ربك؟ فقل ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمته وهو معبودي، ليس لي معبود سواه[(٢)].

وإذا قيل لك: ما دينك؟ فقل: ديني الإسلام، وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله[(٣)].

---

(١) وهي مأخوذة من سؤال القبر عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ فِي قَوْلِهِ: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قَالَ: التَّثْبِيتُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِذَا جَاءَ الْمَلَكَانِ إِلَى الرَّجُلِ فِي الْقَبْرِ فَقَالاَ لَهُ: مَنْ رَبُّك؟ فَقَالَ: رَبِّي اللهُ، وَقَالاَ: مَا دِينُك؟ قَالَ: دِينِي الإِسْلاَمُ، قَالاَ: وَمَنْ نَبِيُّك؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: فَذَلِكَ التَّثْبِيتُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. متفق عليه واللفظ لابن أبي شيبة.

(٢) من أقر أن الله تعالى هو ربه وخالقه لزمه أن يعبده، فأقسام التوحيد متلازمه، كما بيناه قي (قواعد التوحيد) وغيره.

(٣) فالتوحيد هو أصل الإسلام، وليس مجرد نطق الشهادة مع الوقوع في الشرك، كما هو موضح في كتاب (كشف الشبهات) و(تطهير الاعتقاد) وغيرهما.

وبهذا بُعِث جميع الرسل، وأُنزلت جميع الكتب بالدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك، وبالدعوة إلى طاعة الله تعالى ومجانبة معصيته، وبالدعوة إلى اتباع شرع الله تعالى، والحذر من البدع والابتداع.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [سورة آل عمران:١٩]، ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [سورة البقرة:١٦٣]، وعلى هذا اتفق المسلمون من كل ملة.

ولفظ (الإسلام) يتضمن الاستسلام والسلامة التي هي الإخلاص، وقد عُلِم أن الرسل جميعهم بُعِثوا بالإسلام العام المتضمن لذلك

وإذا قيل لك: من نبيك؟ فقل: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم، بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد(١).



(١) وشرحها في كتاب (الأصول الثلاثة: للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى).

وهذه الأصول الثلاثة تجمع الدين كله.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى: فعلى الإنسان أن يعرف نبيه الذي أرسله الله إليه، وبلغه الرسالة، وبين له الشرائع التي أمره الله بها، وأوضح له العبادة التي خلقنا الله لها.

هذا النبي هو محمد عليه الصلاة والسلام، خاتم الأنبياء، ورسول الله لهذه الأمة من الجن والإنس. أرسله الله للناس جميعًا، قال تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [سورة الأعراف:١٥٨]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سورة سبأ:٢٨]... أخذ على هذا الأمر عشر سنين، يدعو إلى التوحيد، ويحذر من الشرك، ويأمر بخلع عبادة ما سوى الله سبحانه، وترك عبادة الأصنام والأوثان، ويأمرهم أن يخصوا الله بالعبادة في دعائهم ونذرهم وذبائحهم وغير ذلك. أ.هـ

ومن كان أعظم محبة واتباعًا للنبي صلى الله عليه وسلم تجده أشد تمسكًا بالتوحيد الخالص، وليس كمن يقيم الموالد والاستغاثة بغير الله تعالى ويزعم حب النبي صلى الله عليه وسلم.

المسائل الأربع

الأولى: العلم: وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه – صلى الله عليه وسلم –، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة(١). الثانية: العمل به. الثالثة: الدعوة إليه. الرابعة: الصبر على الأذى فيه.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.(٢)

****

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «هذه المسائل التي ذكرها المؤلف تشمل الدين كله فهي جديرة بالعناية لعظيم نفعها ...» (شرح الأصول الثلاثة ص١٢).

وقوله: (بالأدلة) لا بالتقليد وإنما الأدلة من القرآن الكريم ومن السنة هذا هو العلم».

وأصول العقيدة لا يجوز فيها التقليد، كما في حديث سؤال القبر في الثالث وهو المقلد: وَأَمَّا المُنَافِقُ أَوِ المُرْتَابُ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ" فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً يَسْمَعُهُ كُلُّ شَيْءٍ يَحْضُرُهُ إِلَّا الثَّقَلَانِ ". متفق عليه واللفظ بآخره لعبد الرزاق. فلم ينفعه التقليد مع عدم عقد القلب وتصديق الجوارح.

(٢) هذه المسائل الأربع في الأُولين صلاح العبد في نفسه، وفي الأخريين إصلاح العبد لغيره، ولا يكمل توحيد العبد وطاعته لله تعالى إلا بهذه الأربع كما في قواعد التوحيد: (**لا يدوم التوحيد إلا بدوام الدعوة إليه والنهي عن ضده**). فالتوحيد كما يدعو إلى إفراد الله تعالى بما يختص به، فإنه كذلك يدعو إلى محاربة الشرك: بالدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك، حتى يكون الدين كله لله، ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [سورة الأنفال:٣٩].

وعلى هذا سار جميع الرسل والأنبياء وأتباعهم، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [سورة النحل:٣٦]. فلا يدوم التوحيد في الأمم إلا بدوام الدعوة إلى التوحيد وإنكار الشرك ووسائله، كما لا تدوم السنة في مجتمع إلا بدوام الدعوة إلى السنة وإنكار البدع ووسائلها.

المسائل الثلاث

الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملًا بل أرسل رسولًا، فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار.

الثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته لا ملك مقرب ولا نبي مرسل [١].

---

(١) هذه المسائل الثلاث من أهم المسائل التي تتعلق بالتوحيد وحقوقه:

فالله تعالى خلق الخلق ليعبدوه فلم يخلقهم عبثًا، لكنه خلقهم لأمر عظيم، ولحكمة عظيمة فيها سعادتهم، وفيها نجاتهم، وهي أن يعبدوا الله وحده لا شريك له كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات:٥٦]. والقاعدة: (**العبادةُ حقٌّ محضٌ لله عز وجل، فما ثبت أنه عبادة فصرفُهُ لغير الله تعالى شركٌ**) والعبادة هي كل ما أمر الله تعالى به وأحبه، فلا يرضى أن يُشرك معه نبي مرسل، ولا ملك مقرب، ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [سورة النساء:٣٦]. وبذلك بعث جميع الرسل وأنزل الكتب، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء:٢٣].

فالله عز وجل هو المستحق للعبادة لذاته، لأنه المألوه المعبود الذي تألهه القلوب وترغب إليه عند الشدائد... ولا يستحق أن يُعبد أحد سواه، فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [سورة الفاتحة:٥] إشارة إلى اختصاصه بالعبادة... فإذا تقرر هذا فمن صرف العبادة لغيره سواء قصد الشرك أو لم يقصده فقد أشرك به ووقع فيما حذر الله تعالى منه ولو ادعى ما ادعاه أسلافه، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [سورة الزمر:٣]، وهؤلاء هم من وصفهم الله تعالى بقوله في نفس الآية بالكاذب الكفَّار.

وقد أجمع العلماء على أن من صرف شيئاً من العبادة كالدعاء والنذر والذبح وغير ذلك لغير الله تعالى فهو مشركٌ حلال الدم والمال، خالد في النار.

الثالثة: أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب[(١)].

****

(١) وهذا هو مقتضى التوحيد، والقاعدة: (**لا يكونُ التوحيدُ صحيحاً مقبولاً إلا بالبراءةِ من الشرك**).

فالتوحيد التام هو إفراد الله تعالى بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات، والبراءة من الشرك في ذلك ومن أهله، كما أن التمسك بالسنة لا يتم إلا بالبراءة من البدعة، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [سورة البقرة:٢٥٦]،

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل:٣٦]، ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [سورة النساء:٣٦]، والأدلة في هذا كثيرة تأمر بالتوحيد وتنهى عن الشرك.

بل إن نفس الإيمان والتوحيد ينفي الشرك، فلا يجتمعان على وجه مقبول كما لا يجتمع الضدان.

ودين الإسلام مبنيٌّ على توحيد الله عز وجل، وترك عبادة ما سواه، ومن ظن أنه ناجٍ ولو لم يتبرأ من الشرك كله فقد خالف الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة، ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [سورة المجادلة:٢٢] الآية. ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام:١٦٤]، ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ [سورة الأنعام:١٤]، فلم يوحِّد الله تعالى من لم يتبرأ من الشرك وأهله، ولا عرف معنى (لا إله إلا الله) التي معناها: لا معبود بحقٍّ إلا الله، (لا إله) براءة من جميع ما يُعبد من دون الله تعالى، (إلا الله) إثبات العبادة لله تعالى وحده، فمن قالها وهو مشركٌ لم تنفعه كاليهود والنصارى والمنافقين وغيرهم، ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [سورة النساء:١٤٥].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [سورة الأنفال:٣٩]، والفتنة: الشرك.

أصل الدين وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه.

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفيره من فعله[١].

****

(١) وهذا توضيحه كالذي قبله، وفي كتاب التوحيد: (**٦- بابُ تفسيرِ التوحيدِ وشهادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ**) وقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الزخرف].
وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ عز وجل»، (م ٢٣).
وهذا الباب فيه تفسير التوحيد، وأنه إفراد الله تعالى بالعبادة والبراءة من كل معبود سواه، فلا يكون العبد موحداً إلا بذلك.
وفيه ردٌّ على من يدَّعي الإسلام وهو مقيم على الشرك؛ كعُبَّاد القبور والأولياء والمشاهد ونحوهم، وردٌّ على من يدَّعي الإسلام ويعتنق مذاهب إلحادية أو كفرية كالعلمانية والحداثة والديمقراطية والاشتراكية ونحوها، فهؤلاء حقيقة من الخارجين عن التوحيد المفارقين لملة الإسلام.

شروط لا إله إلا الله

الأول: العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا.

الثاني: اليقين: وهو كمال العلم بها، المنافي للشك والريب.

الثالث: الإخلاص: المنافي للشرك.

الرابع: الصدق: المنافي للكذب، المانع من النفاق.

الخامس: المحبة: لهذه الكلمة ولما دلت عليه، والسرور بذلك.

السادس: الانقياد بحقوقها: وهي الأعمال الواجبة إخلاصًا لله وطلبًا لمرضاته.

السابع: القبول: المنافي للرد(١).

أدلة هذه الشروط من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

دليل العلم: قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾ [الزخرف: ٨٦]، أي بـ"لا إله إلا الله". ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بقلوبهم ما نطقوا به بألسنتهم.

ومن السنة: الحديث الثابت في الصحيح(٢) عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة».

ودليل اليقين: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

---

(١) هذه الشروط مستنبطة من الأدلة، ولا يلزم حصرها في السبعة.

والفرق بين الانقياد والقبول: أن الانقياد بالجوارح، والقبول بالقلب، وهما متلازمان.

(٢) رواه مسلم (٢٦).

فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا. أي: لم يشكوا، فأما المرتاب فهو من المنافقين(١).

ومن السنة: الحديث الثابت في الصحيح(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة». وفي رواية: «لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة».

وعن أبي هريرة أيضًا من حديث طويل: «من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة»(٣).

ودليل الإخلاص: قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

ومن السنة: الحديث الثابت في الصحيح(٤) عن أبي هريرة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم: «أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه»(٥).

---

(١) لأنه يظهر الإسلام ويبطن الشرك والكفر المنافي لكلمة التوحيد، فلم ينفعه نطق الشهادة ولم يخرج من الكفر في هذه الحالة.

(٢) رواه مسلم (٢٧).

(٣) رواه مسلم (٣١).

(٤) رواه البخاري (٩٩، ٦٥٧٠).

(٥) وما يسلكه عباد القبور في طلب الشفاعة مسدود، إذ أن الشفاعة منفية مع الشرك، وثابتة مع التوحيد، فطلبها بالطرق الشركية كما يفعله عُبَّاد القبور والأولياء غلط محض، فالشرك سبب لمنعهم الشفاعة، ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾. وإذا كانت شبهة [القربة والشفاعة] لم تنفع المشركين الأولين، بل حُكِم عليهم بالشرك والخلود في النار وسفكت دماؤهم، فكذلك هؤلاء المشركون عُبَّاد القبور، لا تنفعهم عبادة القبور، بل حكمهم كأولئك، ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥].

وفي الصحيح(١) عن عتبان بن مالك رضي الله عنه، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله عز وجل».

وللنسائي(٢) في "اليوم والليلة" من حديث رجلين من الصحابة، عن النبي – صلى الله عليه وسلم –: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير مخلصًا بها قلبه، يصدق بها لسانه، إلا فتق الله لها السماء فتقًا حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض، وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤاله».

ودليل الصدق(٣): قوله تعالى: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[العنكبوت: ١-٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ٨ – ١٠].

---

(١) متفق عليه (خ ٤٢٥) (م المساجد/ ٢٦٣).

(٢) برقم (٢٨) وهو في الكبرى (٩٧٧٢) وفي سنده محمد بن عبد الله بن ميمون مجهول، وله شاهد منكر عن أبي هريرة رضي الله عنه، وانظر الضعيفة (٩٣٢، ٦٦١٧).

(٣) الصدق ينافي الكذب والنفاق، فهو كاليقين، والمنافقون قسمان: قسم جازم بعدم صدق الرسول ويظهر الإسلام كذبًا، وقسم عنده شك، فاليقين ينافي الشك، والصدق ينافي الكذب، وكما أن اليقين من أعمال القلب فقط، والصدق من أعمال القلب واللسان والجوارح، فيقال لمن ينطق بالشهادة ويعبد غير الله تعالى بأنه كاذب، وهذا ظاهر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر: ٣]. فاتخاذ الوسائط والتقرب إليها؛ سواء كانت صنماً، أو قبراً، أو وليًّا، أو ... كل ذلك مشتمل على الكذب والكفر، فالكذب في دعوى أنهم واسطة وأنهم شفعاء وأنهم يقرِّبون من الله تعالى. والكفر في عبادتهم.

ومن السنة: ما ثبت في الصحيحين[(١)] عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار».

ودليل المحبة: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ﴾[البقرة: ١٦٥].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

ومن السنة: ما ثبت في الصحيح[(٢)] عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار».

ودليل الانقياد[(٣)]: لما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾[الزمر: ٥٤].

وقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥].

وقوله: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [لقمان: ٢٢]، أي: بـ"لا إله إلا الله".

وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ

---

(١) متفق عليه (خ ١٢٨) (م ٣٢) عن أنس رضي الله عنه بلفظ (وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ)، وليس عن معاذ.

(٢) متفق عليه (خ ١٦) (م ٤٣).

(٣) تقدم أن الانقياد إذا قرن بالقبول يكون بالجوارح، وإذا أفرد فيكون بالجوارح والقلب بمعنى الاستسلام.

حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

ومن السنة: قوله – صلى الله عليه وسلم –: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»[(١)]، وهذا هو تمام الانقياد وغايته.

ودليل القبول: قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آَبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الزخرف: ٢٣ – ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آَلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ * بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٥ – ٣٧].

ومن السنة: ما ثبت في الصحيح[(٢)] عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به».



(١) رواه البغوي في السنة (١٠٤) عن عبد الله بن عمرو، وفي سنده اضطراب، ونعيم بن حماد فيه مقال، وضعف الحديث أيضًا الشيخ الوادعي، والألباني يحسنه.

(٢) متفق عليه (خ ٧٩) (م ٢٢٨٢).

نواقض الإسلام

اعلم أن نواقض الإسلام عشرة(١):

الأَوَّلُ: الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾، وقال: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِالله فَقَدْ حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾، ومنه الذبحُ لغيرِ الله، كمن يذبحُ للجنِّ أو للقبر(٢).

---

(١) النواقض جمع ناقض، وهو بمعنى المفسد، فنواقض الإسلام، أي: مفسداته.

وإذا انتقض إسلام وإيمان الشخص فإنه ينتقل من الإسلام إلى الكفر.

فائدة مهمة، وهي: أن التكفير حكم شرعي مَردُّه إلى الله تعالى، وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يجوز لأحد أن يكفر إلا بدليل من الكتاب والسنة، لا سيما تكفير المعين، فقد يطلق الكفر على الأعمال ولا يقال في حق المعين لوجود مانع مثلًا.

ولما كان أمر التكفير أمرًا خطيرًا كان لابد أن يضبط بالكتاب والسنة، فمن خرج عن ذلك فإنه سيجلب على نفسه وعلى المسلمين شرورًا كبيرة، وفتنًا عظيمة ومحنًا متلاطمة.

(٢) الشرك: أن تجعل أو تعتقد لله نداً في ربوبيته، أو ألوهيته، أو أسمائه وصفاته.

ومن خلال هذا التعريف نعلم أن الشرك ينقسم إلى ثلاثة أقسام: شرك في الربوبية، وشرك في الألوهية، وشرك في الأسماء والصفات، وسيأتي شرحه في بابه.

وقوله: (ومنه الذبحُ لغيرِ الله، كمن يذبحُ للجنِّ أو للقبر) الذبح عبادة، والعبادة: كل ما أمر الله عز وجل به أمر وجوب أو أمر استحباب، فإن الله تعالى لا يأمر شرعًا إلا بما يحب.

وتعريفها الأعم: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والنيات.

فالذبح عبادة، والدليل: أن الله تعالى أمر به: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ أي وانحر لربك وحده لا شريك له.

وصرف العبادة لغير الله تعالى شرك، كما في القاعدة التي أجمع عليه أهل العلم [ما ثبت أنه عبادة فصرفه لغير الله شرك أكبر].

والذبح الشركي ينقسم إلى أربعة أقسام:

١ - أن يذبح لغير الله تعالى ويسمي الله عز وجل، فهذا من الشرك الذي أهل به لغير الله سبحانه، وهو مخرج من الملة.

٢- أن يسمي غير الله تعالى ويذبح لله سبحانه، وهذا أيضًا شرك أكبر؛ لأن حقيقته لغير الله تعالى.

٣- أن يسمي غير الله تعالى ويذبح ويقصد غير الله تعالى، وهذا أشد شركًا مما قبله.

٤- أن يذبح لغير الله عز وجل ولا يسمي شيئًا، لا يسمي الله سبحانه وتعالى ولا يسمي غيره، وهو شرك أكبر. وكذلك سائر أنواع العبادة الحكم فيها كذلك، من دعاء ونذر وخشية وخوف ورغبة وصلاة وحج، وما أشبه ذلك.

الثَّانِي: مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ وَسَائِطَ يَدْعُوهُمْ وَيسْأَلُهُمْ الشَّفَاعَةَ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ كَفَرَ إِجْمَاعًا[(١)].

(١) الناقض الثاني يعتبر تفريعًا للناقض الأول، فإن من جعل بينه وبين الله جل وعلا واسطة يعبدهم فقد أشرك بالله سبحانه.

والمؤلف أفرد هذا النوع من الشرك، وجعله ناقضًا مستقلًا لكثرة وقوع عباد القبور فيه.

تراهم عند القبور يصرفون الذبح والنذر والدعاء للمقبور، وربما دعوا الناس إلى هذا الشرك.

وإذا أُنكر عليهم قالوا: نجعلهم وسائط بيننا وبين الله تعالى، أو شفعاء كما قال أسلافهم من كفار العرب وغيرهم. وقد تقدم الرد على بعض ذلك.

الثالثُ: أَنَّ مَنْ لَمْ يُكَفِّرِ الْمُشْرِكِينَ أَوْ شَكَّ فِي كُفْرِهِمْ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُم، كَفَرَ[(١)].

(١) والمراد بالكافر والمشرك هنا الواضح كفره وشركه، فمن كان كفره مشكلًا أو مختلفًا فيه فلا يدخل في هذا الناقض.

والكفار على قسمين:

كفار أصليون: وهم الملاحدة والفلاسفة والمشركون واليهود والنصارى والمجوس والصابئة وغيرهم.

وكفار مرتدون: أي كانوا من أهل التوحيد والإسلام لكنهم ارتدوا.

والردة: هي الرجوع عن الإسلام إلى الكفر بالقول أو الفعل أو الاعتقاد أو بها كلها.

والمرتدون على قسمين:

قسم ظهرت ردته وقامت البراهين الواضحة على ذلك، فكان كفره واضحًا لا إشكال فيه، كالباطنية بفرقها كلها وغلاة الجهمية وغلاة الاثني عشرية، والدروز والنصيرية واليزيدية، والعلمانيين والماسونيين، ونحوهم.

والقسم الثاني من المرتدين من اختلف أهل العلم في تكفيرهم، فمنهم من كفرهم ومنهم من لم يكفرهم.

فهذا الناقض يتحدث عن الكفار الأصليين، وعن الكفار المرتدين الذين ردتهم واضحة، فمن لم يكفر هؤلاء فهو كافر.

قوله: (أَوْ شَكَّ فِي كُفْرِهِمْ) الشك هو التردد، بمعنى يقول لا أدري أهم كفار أم ليسوا كفارًا.

أو: أنا لا أقول كفار ولا غير كفار، بل أسكت.

فهذا أيضًا تكذيب للقرآن والسنة، لأن المؤمن لا يشك في كلام الله تعالى.

قوله: (أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُم، كَفَرَ) وهذا شر من القسمين السابقين، فهو لا يكفره ويزيد فوق ذلك أن يقول: ليسوا كفارًا، أو: مذهبهم صحيح، أو: عقيدتهم سليمة، أو هم على دين صحيح، وما أشبه ذلك من العبارات التي يتلفظ بها من خذله الله سبحانه.

الرابع: مَن اعتَقَد أنَّ غَيْرَ هَدْيِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أكمَلُ مِن هَدْيِه، أو أنَّ حُكْمَ غَيرِه أحسَنُ مِن حُكْمِه، كالذي يُفَضِّلُ حُكْمَ الطَّواغيتِ على حُكْمِه؛ فهو كافِرٌ[1].

(١) هذا الناقض لعله في العصور المتأخرة من أوسع النواقض.

قوله: (مَن اعتَقَد أنَّ غَيْرَ هَدْيِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أكمَلُ مِن هَدْيِه)

الهدي: الدين والطريقة والسيرة، فهدي رسول الله دينه وسيرته أخلاقه ومعاملاته دعوته، هذا كله من هدي رسول الله عليه الصلاة والسلام.

فمن زعم أن غير رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل هديًا وأحسن خلقًا، أو أحسن أسلوبًا في الدعوة، وأحسن في التوعية وتفهيم المجتمعات، أو أحسن دينًا، فمن جاء بشيء من ذلك فقد خرج عن ملة الإسلام، قال الله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ﴾.

فلا أكمل ولا أحسن من هذا الدين، فمن قال أن هدي غير رسول أكمل فهو مكذب بهذه الآية.

قوله: (أو أنَّ حُكْمَ غَيرِه أحسَنُ مِن حُكْمِه)

أولًا: واجب على المسلمين أن يتحاكموا إلى كتاب الله تعالى، وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

والناس تجاه هذا الناقض على أقسام منها:

القسم الأول: من اعتقد أن الحكم بشرع الله تعالى واجب، ولا أفضل منه، وحكم بذلك وتحاكم إليه، فهذا هو المؤمن الفائز المفلح، قال الله عز وجل ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

القسم الثاني: من اعتقد أن حكم الله تعالى يجب أن يتحاكم إليه ولا أحسن منه، لكنه يحكم أو يتحاكم إلى غير شرع الله تعالى، إما بشهوة وإما بشبهة فهذا هو الفاسق، وهو الذي كفره كفر أصغر، وهذا عليه يتنزل تفسير ابن عباس هذه الآية: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما كما جاء عنه بإسنادٍ صحيح: كفر دون كفر.

أي: كفر أصغر، ومن أكبر الكبائر لكنه لا يخرج عن الإسلام.

الخامسُ: من أبغَضَ شيئًا ممَّا جاءَ بِهِ الرَّسولُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - ولو عَمِلَ بِهِ- كَفَر، والدليل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩] (١).

القسم الثالث: من اعتقد جواز الأمرين، وسوى بينهما، أو فضل حكم غير الله تعالى على حكم الله سبحانه فقال: كلا الأمرين كفر أكبر؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ﴾، وهذا المنحرف يقول: الحكم لله ولغيره.

قوله: (كالذي يُفَضِّلُ حُكْمَ الطَّواغيتِ على حُكْمِهِ؛ فهو كافِرٌ)

الطواغيت: جمع طاغوت وهو كما عرفه ابن القيم: (ما تجاوز به الإنسان حده). فمن عظَّم حكم غير الله سبحانه حتى سواه بحكم الله تعالى، أو أفضل من حكم الله جل وعلا فهذا قد اتخذه طاغوتًا.

(١) قوله: (من أبغَضَ شيئًا) من أبغض بقلبه ولم يظهر شيئًا على لسانه أو أظهره، وإنما وقعت البغضاء في قلبه لشيء من شرع الله سبحانه وتعالى، سواء كان من الواجبات، أو كان من المستحبات فهذا على خطر عظيم.

قوله: (ممَّا جاءَ بِهِ الرَّسولُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم) ما جاء في الكتاب العزيز والسنة الصحيحة، وعرف ثبوته.

قوله: (ولو عَمِلَ بِهِ) كما هو حال المنافقين الذين يصلون مع المسلمين، وهم يبطنون البغضاء للصلاة وغيرها، فلا ينفعهم العمل مع فساد المعتقد.

قوله: (كَفَر) الدليل الآية، فلما كرهوا وأبغضوا ما أنزله الله عز وجل جملة، أو في مسألة أو في قضية، كان ذلك من أسباب الردة عن الإسلام.

السادس: مَن استهزأ بشيءٍ مِن دينِ الرسول[(١)] صلى الله عليه وسلم، أو ثوابِهِ، أو عقابِهِ، كَفَرَ، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦][(٢)].

(١) في نواقض الإسلام للشيخ محمد (دين الله).

(٢) والاستهزاء: هو الاستخفاف والسخرية ونحو ذلك.

ومعلوم أن المسلم بفطرته يعظم ربه تعالى، ويعظم نبيه صلى الله عليه وسلم، ويعظم دينه، وهذا من لوازم الإيمان، فالذي يدعي أنه يحب الله تعالى ويعظم شرع الله سبحانه ثم يستهزئ ويسخر بشيء من الشرع؛ فهذا فعله وقوله قد ناقض دعواه، فإن الذي يستهزأ بالله تعالى أو برسوله أو بما عُلم من الدين بالضرورة أو بما تيقن هو أنه دين؛ فإن هذا كفر وردة عن دين الاسلام، والدليل هذه الآية نزلت في أناس استهزؤوا برسول الله عليه الصلاة والسلام وبأصحابه، قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أكبر بطوناً وأجبن عند اللقاء.

فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ﴾ لأنهم اعتذروا، وقالوا: يا رسول إنما كنا نخوض ونلعب. فقال الله عز وجل ﴿لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ وقوله: (بعد إيمانكم) دليل على أنهم كانوا مؤمنين، ثم بعد ذلك حصلت منهم الردة، وكفروا بعد الإسلام، وبعضهم كان منافقًا وتسبب في إغراء غيرهم من المسلمين فكفروا بسببه.

السَّابِعُ: السِّحْرُ: وَمِنْهُ: الصَّرْفُ وَالعَطْفُ فَمَنْ فَعَلَهُ أَوْ رَضِيَ بِهِ كَفَرَ. وَالدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ﴾(١).

---

(١) قوله: (السِّحْرُ) السحر لغة: ما خفي ولطف سببه.

ومعنى السحر عند أهل العلم: عبارة عن كلمات أو رقى وعقد تؤثر في الأبدان والأبصار باستخدام الشياطين.

فالسحر الذي نتحدث عنه هو السحر الذي يكون باستخدام الشياطين.

وهو ينقسم إلى قسمين: كما قرره أهل السنة والجماعة.

الأول: حقيقي. والثاني: تخييلي، [بيائين].

أما الحقيقي، فهو: الذي يؤثر في الأبدان والقلوب والعقول.

فإما أن يتسبب في مرض أو جنون أو قتل، أو حب أو كراهة غير طبيعيين، وما أشبه ذلك.

قوله: (وَمِنْهُ: الصَّرْفُ وَالعَطْفُ) الصرف، الصرف: يصرف الشخص عن زوجته أو عن ما يحب.

وَالعَطْفُ :عكسه، يجعل الإنسان يحب حبًّا كثيرًا غير طبيعي.

فهذا كله يدخل في النوع الأول، والأدلة على أنه يؤثر حقيقة كثيرة، ومنها ما ذكرها المؤلف قال الله عز وجل ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾.

والنوع الثاني: السحر التخيلي، وهو: ما يؤثر في الأبصار والأنظار، فيرى الإنسان الشيء على غير حقيقته، ويكون باستخدام الجن.

كأن يرى العصا ثعبانًا كما فعل سحرة فرعون، وربما رأى الحجر دجاجة، وهكذا.

والسحر التخيلي لا يقلب الحقائق، وإنما يتغير الأمر من جهة البصر فقط، بسحر الأعين، ودليله قال تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾، فكان الناس يرون الوادي مليئًا بالثعابين.

قوله: (فَمَنْ فَعَلَهُ أَوْ رَضِيَ بِهِ كَفَرَ).

تعلم وتعليم السحر كفر، والسبب في كونه كفرًا أن الساحر لا يتوصل إلى السحر حتى يعبد الشيطان، إما يسجد له، وإما أن يسب الرب سبحانه، أو يسب الدين.

ومن عُلم أنه ساحر بيقين فإنه يقتل، جاء عن جندب الخير رضي الله عنه أنه قال: حد الساحر ضربة بالسيف. وهذا صح نحوه عن عمر رضي الله عنه وعن غيره.

قوله: (أَوْ رَضِيَ بِهِ كَفَرَ) من رضي باستعمال السحر ولو لم يستعمله أوقال السحر حلال. فهذا يكفر لأن الرضى بالكفر كفر، والرضى بالشرك شرك.

كذلك من ذهب إلى ساحر من أجل أن يسحر فلانًا أو فلانة؛ فإن اشتمل ذهابه هذا على أمر كفري، كأن يقول له الساحر: اذبح كذا أو كذا من الأمور الكفرية ففعل فإنه يكفر، وكذلك إن رضي بعمل السحر أو استحله فهو أيضًا كافر.

الثامن: مُظَاهَرَةُ الْمُشركِينَ ومُعاوَنتُهُم عَلَى الْمُسْلِمينَ، والدَّليلُ قولُه تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّـهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1].

(١) قوله: (مُظَاهَرَةُ الْمُشركِينَ ومُعاوَنتُهُم عَلَى الْمُسْلِمينَ) المظاهرة: بمعنى المناصرة، والمظاهرة والمعاونة هي فرع عن المودة والمحبة والموالاة، فإن موالاة المشركين تشمل محبتهم ومناصرتهم على أعدائهم، ومن ذلك مناصرتهم على المسلمين.

والذي يناصر الكفار على المسلمين في الحرب ونحوها لا يخلوا من حاله من مجموع حالات:

الأولى: أن يحب دينهم فيناصرهم محبة لدينهم ضد المسلمين، فهذا كافر لأنه قد رضي بالكفر، ولو لم يناصرهم لكان قد كفر بالرضى بالكفر، وعليهم ينطبق قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

الحالة الثانية: أن يناصرهم بالظاهر ويبغضهم في الباطن.

فهذا ينظر لماذا ناصرتهم؟ قال: لأمور دنيوية، أو من أجل أن أنتقم من فلان الذي عمل بي كذا و كذا.

فهذا فاسق مجرم ومرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب.

قوله: (والدَّليلُ قولُه تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾) فقوله (فإنه منهم) أي: في حكمهم كما تقدم تفصيله، والآية دليل على جواز قتل هذا الصنف إن وجدوا في صف الكفار.

التاسع: مَن اعتقَدَ أَنَّ بَعضَ النَّاسِ[(١)] يَسَعُهُ الخُرُوجُ عَن شَرِيعَتِه صلى الله عليه وسلم كَمَا وَسِعَ الخَضِرَ الخُرُوجُ عَن شَرِيعَةِ مُوسَى عليه السلام؛ فَهُوَ كَافِرٌ[(٢)].

---

(١) في نواقض الإسلام للشيخ محمد زيادة هنا: [لا يجبُ عليهِ اتباعُ النبي صلى الله عليه وسلم، وأنهُ].

(٢) قوله: (مَن اعتقَدَ أَنَّ بَعضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الخُرُوجُ عَن شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم) أي: اعتقد جواز ترك دين الإسلام إلى غيره، إما إلى دين آخر، وإما إلى غير دين، فمن اعتقد هذه العقيدة فقد ارتد عن دين الإسلام؛ لأن دين الإسلام دين كامل شامل ناسخ لغيره.

قال الله جلا وعلا: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾.

وكذلك دين الإسلام هو الدين الذي لا يقبل الله عز وجل بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم غيره، والدليل قوله تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

فلا يسع أحد البقاء على ملة سابقة، ولا إحداث ملة جديدة.

ولا طريق ينجي إلا اتباع الكتاب والسنة: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، فمن ادعى أنه يسعه الخروج عن هذا الدين فهو مكذب بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية.

قوله: (كَمَا وَسِعَ الخَضِرَ الخُرُوجُ عَن شَرِيعَةِ مُوسَى عليه السلام) قصة موسى والخضر عليهما السلام لا دليل فيها، فموسى عليه السلام نبي مرسل، والخضر عليه السلام نبي، وكلاهما على دين التوحيد، ولم يكن الخضر مكلفًا باتباع موسى عليهما السلام، لأن رسالة موسى خاصة إلى بني إسرائيل، ولم يكلف من كان موحدًا أن يتبعه في الأحكام الخاصة برسالته.

أما التوحيد فجميع الأنبياء والرسل يتفقون في هذا الباب، فمن اعتقد أنه يسعه الخروج فقد كفر كفرًا أكبر.

وهؤلاء أصناف منهم الملاحدة والعلمانيون الذين يدعون الإسلام، وكذلك منهم غلاة المتصوفة، فإنه قد وجد فيهم من يعتقد أن الولي إذا بلغ درجه اليقين جاز له الخروج عن الشريعة الإسلامية، ورفع عنه القلم لأنه صار يتلقى عن الله تعالى مباشرة في زعمه: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾

فاليقين عندهم درجة ترفع فيها التكاليف، وهذا يعتبر من الكفر الأكبر، فإن رسول الله عليه الصلاة والسلام لزم عبادة ربه سبحانه وتعالى حتى مات.

أما من حصلت منه مخالفة، وخروج في بعض أمور الدين عصيانًا فقط، فهذا لا يصل بصاحبه إلى حد الكفر.

العاشر: الإعراضُ عَن دينِ الله تعالَى لَا يتعَلَّمُه، وَلا يَعمَلُ بِهِ، والدَّليلُ قَولُه تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْـمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾(١).

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف، إلا المكره(٢)،

---

(١) قوله: (الإعراضُ عَن دينِ الله تعالَى)

الإعراض كما فسره المؤلف، وسيأتي بيان كفر الإعراض، قال الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ وهو ناتج عن عدم الإيمان بهذا الدين، أو عن الجهل المبين.

والإعراض: الانصراف عن الشيء مع عدم الرغبة فيه.

والذي لا يرغب في الإسلام أو في بعض أمور الإسلام يكفر.

ومن هؤلاء أولئك الذين يسمون الأحكام الفقهية والعقدية قشورًا، أو ظواهر العامة، وإسلام العامة، ونحوها من الأسماء الدالة على الاستخفاف.

قوله: (لَا يتعَلَّمُه) أي: لا يرغب في تعلم هذا الدين كراهية له، أو لعدم رغبته فيه، وهذا لا شك أنه كفر، كما سبق الدليل. أما من ترك العلم أو بعض الأعمال كسلًا دون عذر، فهذا مذموم ويأثم بقدر تفريطه.

وقوله: (وَلا يَعمَلُ بِهِ) لم يعمل به: ترك العمل بالكلية لا يكون إلا من كافر، ولا يتصور أن يحدث هذا من مسلم أبدًا.

(٢) قوله: (ولا فرق في جميع هذه النواقض) نواقض الإسلام كثيرة ومنها ما ذكره المؤلف، ومنها ما لم يذكره، ومردها إلى أربعة: الشرك والكفر والردة والنفاق الأكبر.

قوله: (بين الهازل والجاد والخائف) الهازل: المازح، فمن وقع في ناقض من هذه النواقض عمدًا وهو هازل، أو جاد بمعنى أنه يقصد ويتعمد ما يقول أو يفعل، أو خائف من غيره؛ فهؤلاء كلهم سواء في الحكم بالردة، كما سبق بيانه.

وكلها من أعظم ما يكون خطرًا وأكثر ما يكون وقوعًا. فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه. نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه.



وقوله: (إلا المكره) ضابط الإكراه: أن يتيقن أو يغلب على ظنه أن يحل به ما لا يقدر على تحمله، أو من حل به ذلك. فهذا يكون له حكم المكره، فيعذر في الأقوال لا في المعتقد.

والصبر خير، من صبر وأبى أن يقول كلمة الكفر حتى يقتل، أو يعذب عذابًا شديدًا، فالصبر خير من الإجابة، لأن الصبر عزيمة والإجابة رخصة.

التوحيد ثلاثة أنواع[١]

الأول: توحيد الربوبية[٢]:

وهو الذي أقر به الكفار على زمن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولم يدخلهم في الإسلام، وقاتلهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، واستحل دماءهم وأموالهم.

وهو توحيد الله بفعله تعالى.

---

(١) أسعد الناس بمعرفة التوحيد ومعرفة حقيقة الشرك، وأحرص الناس على التحذير منه هم أهل السنة والجماعة، ولا يقوم بذلك أحدٌ سواهم على الوجه الأكمل، فلله تعالى الحمد والمنة.

وفي هذا الباب ردٌّ على من أنكر تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام، وغالبهم من الصوفية، إذ مقصدهم الخبيث هو إنكار توحيد الألوهية، ليسهل عليهم دعوة الناس إلى عبادة القبور والأولياء، فالتصوف والتشيع ملجأ لشر كبير، ولكل حاقد على الإسلام وأهله، كما أن التحزب ملجأ لكل عميل لأعداء الإسلام والمسلمين

(٢) سمي توحيد الربوبية نسبة إلى الرب ﷻ وهذا النوع من التوحيد لم ينكره إلا الملاحدة من الناس كفرعون والنمرود وهكذا الاشتراكية والدهريون ومن على شاكلتهم من الملاحدة والكفرة كالهندوس والبوذية وغيرهما.

وأما سائر المشركون فيقرون به إجمالًا مع الإخلال به في بعض الأمور كالاستسقاء بالنجوم ونسبة الضر والنفع إلى غير الله ﷻ كالجن، وأخل بتوحيد الربوبية طوائف القبورية وعباد الأقطاب والأوتاد من الصوفية الغلاة وغيرهم.

وقد ذكر الله ﷻ الربوبية في كتابه وحاج بها المشركين وأن ذلك مستلزم لإفراده بالعبادة كقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾

[سورة البقرة:٢١-].

والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]. والآيات على هذا كثيرة جدًّا(١).

---

(١) قوله: (وهو الذي أقر به الكفار على زمن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ولم يدخلهم في الإسلام...)

وشرح ذلك في القواعد الأربع وفي قواعد التوحيد: (**لا يكونُ العبدُ موحداً إلا إذا جاء بجميع أقسام التوحيد كلها**)

فالتوحيد لا يتجزأ، فمن أخل بقسم منه لم يُقبل منه الباقي، فقد كان أقوام من الأمم يقرون بربوبية الله تعالى ويعبدون غيره، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة يوسف:١٠٦]، فسماهم مشركين وأباح دماءهم وأموالهم وأعراضهم.

فالتوحيد الصحيح هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع التوحيد، فلا رب إلا الله تعالى ، ولا يُعبد بالحق إلا هو سبحانه الموصوف بالجمال والجلال وصفات الكمال، ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [سورة النساء:٣٦]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [سورة الفاتحة:٢-٥]، فجمع أنواع التوحيد كله، وسار على ذلك أهل الصراط المستقيم، وضل عنه المغضوب عليهم والضالون أهل الشرك والتمثيل والإلحاد والتعطيل.

ففي توحيد الربوبية براءة من مذهب أهل التعطيل الذين عطلوا الخالق عن مخلوقاته أو بعضها.

وفي توحيد الألوهية براءة من مذهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

وفي توحيد الأسماء والصفات براءة من مذهب المعطلة الذين أنكروا صفات الباري سبحانه، وعطَّلوا كماله، والممثلة الذين مثَّلوا الخالق بالمخلوق، فتنقصوا كماله وجلاله.

ولذلك كان الإقرار بنوع من التوحيد موجباً للإقرار بالباقي، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [سورة البقرة:٢١] الآية. فالربوبية تستلزم تجريد العبادة لله وحده، والإقرار بكماله وصفاته، والإقرار بالألوهية متضمنٌ للربوبية والأسماء والصفات ... كما أن الشرك في الربوبية مستلزمٌ للشرك في الألوهية، والشرك في الألوهية متضمنٌ للشرك في الربوبية... دل ذلك على التلازم بينها.

الثاني: توحيد الألوهية[١]:

وهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه، وهو توحيد الله بأفعال العباد، كالدعاء والنذر والنحر والرجاء والخوف والتوكل والرغبة والرهبة والإنابة، وكل نوع من هذه الأنواع عليه دليل من القرآن[٢].

(١) سمي توحيد الألوهية نسبة إلى الله (الإله) ﷻ وهذا التوحيد هو أجلُّ ما أرسلت به الرسل وأنزلت به الكتب وقام من أجله الجهاد بين المسلمين والمشركين الذين يحاربون توحيد الله ﷻ وإفراده بالعبادة.

فلا يعبد مع الله ﷻ نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا عبد صالح ولا ضريح ولي ولا قبر نبي... إلخ، فمن عبد مع الله تعالى غيرَه وصرف له شيئًا من العبادة سواء كان ذلك تقربًا لله تعالى أو لغيره فقد وقع في الشرك كما سبق، وهذا هو حال مشركي القبوريين.

(٢) كثر النزاع فيه، ولكن ليس معناه أنه لم يقع نزاع في بقية أقسام التوحيد، فمنكروا الربوبية أمم لا تحصى كثرة، والخلاف في توحيد الأسماء والصفات كثير في هذه الأمة وغيرها.

وفي هذا الرد على من زعم أن كفار قريش كانوا مشركين في الربوبية فقط، فذكر الأدلة على اعترافهم بالربوبية، وكون شركهم في الألوهية ردٌّ عليه، فمن أشرك في الألوهية فقد وقع في الشرك الذي حرمه الله تعالى، قال سبحانه عن قوم هود: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]، فظهر أن شركهم في الألوهية والربوبية.

وقد تقدم أن صرف العبادة لغير الله تعالى شرك بأي حجة كان، وذهب جمعٌ من أهل الكلام والصوفية إلى أن الشرك في الألوهية لا يعدُّ شركاً إلا إذا اعتقد في المعبود بعضَ صفات الربوبية، وهذا باطل بأدلة الكتاب والسنة وإجماع السلف.

الثالث: توحيد الذات والأسماء والصفات[(١)]:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص]. وقال تعالى: ﴿وَلله الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١][(٢)].



---

(١) توحيد الأسماء والصفات هو: ألَّا نسمي ربنا إلا بما سمى به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ، ولا نصفه إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله ﷺ، من غير تكييف ولا تمثيل، ولا تحريف ولا تعطيل، وسمي توحيد الأسماء والصفات نسبة إلى أسماء الله ﷻ وصفاته.

وتعريفه: إفراد الله في أسمائه وصفاته فلا مثيل له ولا نظير.

هذا هو المعتقد الصحيح الذي عليه أهل السنة والجماعة وقد ضل في باب الأسماء والصفات طوائف المعطلة الذين نفوا الأسماء والصفات أو بعض ذلك، والممثلة الذي مثلوا الله ﷻ بالخلق أو العكس - تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

قولنا: «من غير تكييف»: أي لا نجعل لصفات الله ﷻ كيفية معينة نحددها بعقولنا، وليس معناه أننا ننفي الكيفية وإنما لا نحددها بكيفية معينة مع إيماننا أن لصفات الله ﷻ كيفية يعلمها الله وحده سبحانه. «ولا تمثيل»: لا نمثل الله تعالى بالخلق ولا نمثل الخلق بالله تعالى.

«ولا تحريف»: لا تُغيَّر معاني الأسماء والصفات إلى غير ظاهرها.

«ولا تعطيل»: لا ننفي ولا نجحد الأسماء والصفات أو بعضها بل نثبت كل ما أثبته الله تعالى لنفسه.

(٢) فنفى المماثلة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ وأثبت الصفات ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، دل هذا على أن إثبات الصفات لا يلزم منه المماثلة، وهو رد على الممثلة والمعطلة والمحرفة.

ضد التوحيد الشرك[(١)]

وهو ثلاثة أنواع:

شرك أكبر ـ وشرك أصغر ـ وشرك خفي[(٢)].

الشرك الأكبر لا يغفره الله ولا يقبل معه عملًا صالحًا:

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

وقال عز وجل: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٨٨][(٣)].

---

(١) مأخوذ من الاشتراك والمشاركة، واصطلاحًا هو: جعل ند لله ﷻ في ألوهيته أو ربوبيته أو أسمائه وصفاته.

والغالب هو الوقوع في شرك الألوهية، وهو عبادة غير الله ﷻ، أو عبادة غيره معه؛ كدعاء غير الله تعالى، والذبح لغير الله تعالى، والصلاة للضريح، أو التمسح بالرفات والعظام... إلخ كما سيأتي.

(٢) والشرك الخفي يدخل في الأكبر والأصغر.

(٣) وهذه الأدلة تدل على خطر الشرك وضرره، ومن الأصول العظيمة التي بيَّنها الله تعالى بياناً شافياً: الإخلاص لله تعالى في العبادة، وتنقيتها من شوائب الشرك والبدع، كما بين صور الشرك ومعانيه وحجج

الشرك الأكبر أربعة أنواع:

النوع الأول: شرك الدعوة، والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] (١).

النوع الثاني: شرك النية والإرادة والقصد، والدليل قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦] (٢).

أهله، وفنَّدها من طرق متعددة وأساليب متنوعة.

فلما انتشر الجهل والبدع عمل شياطين الجن والإنس على نشر الشرك بالغلو في الصالحين، والالتجاء إليهم بالدعاء والنذر ... إلخ، وسموا هذا الشرك: محبة وتعظيماً للصالحين، فإذا أنكر أحد عليهم الشرك وأمرهم بإخلاص العبادة لله تعالى وحده طعنوا في دعوته؛ بأنه يتنقَّص الصالحين لقوله لهم: لا تصرفوا العبادة للصالحين، إنما هي حق لله تعالى وحده، فلبَّسوا على الناس وقلبوا الحقائق.

(١) دعاء غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى شرك أكبر يخرج صاحبه من الملة سواء كان المدعو حيًّا أو ميتًا، جنيًّا أو إنسيًّا أو غيرهما، أما دعاء الإنسان الحاضر فيما يقدر عليه مع الاعتقاد أنه سبب وأن الأمور كلها بيد الله تعالى، فهذا جائز كما قال تعالى في موسى ﷺ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾ [سورة القصص: ١٥].

والأدلة في هذا الباب لكثرة انحرافات الناس فيه.

(٢) شرك القصد والإرادة: وهو أن يريد الإنسان بعمله غير الله، ويقصد به غير وجه الله تعالى. قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «أما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذى لا ساحل له وقلَّ من ينجو منه فمن أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئًا غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته. والإخلاص: أن يخلص لله في أفعاله وأقواله وإرادته ونيته»

النوع الثالث: شرك الطاعة، والدليل قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

وتفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد في المعصية لا دعاؤهم إياهم. كما فسرها النبي – صلى الله عليه وسلم – لعدي بن حاتم لما سأله فقال: لسنا نعبدهم فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية[(١)].

النوع الرابع: شرك المحبة، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾[البقرة: ١٦٥][(٢)].

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٩٥) وابن جرير (١٠/ ٨٠) وغيرهم عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ. فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الوَثَنَ»، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [التوبة: ٣١]، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ». قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ حَرْبٍ، وَغُطَيْفُ بْنُ أَعْيَنَ لَيْسَ بِمَعْرُوفٍ فِي الحَدِيثِ».

وحسنه الألباني وضعفه غيره، وقد صح عن عدد من السلف التفسير بما ورد في الحديث.

(٢) لما كانت المحبة عبادة فمن صرفها لغير الله تعالى فقد أشرك سواء صرفها للجن أو إنس أو حزب أو دنيا أو بدعة أو غير ذلك، وهذا من الشرك الأكبر، كما قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله تعالى: «أما من اتخذ ندًّا تساوي محبته محبة الله فهو شرك أكبر...» اهـ.

ومعنى الآية: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾ أي: في كيفيته ونوعه، فالنوع: محبة عبادة، والكيفية كمحبة الله أو أشد، وهذا شرك أكبر.

وقد ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب الوصابي رحمه الله تعالى أربعة عشر نوعًا من الشرك في (القول المفيد)، وشرحناها هنالك.

النوع الثاني: من أنواع الشرك:

شرك أصغر وهو الرياء: والدليل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] (١).

النوع الثالث من أنواع الشرك:

شرك خفي (٢): والدليل عليه قوله – صلى الله عليه وسلم –: «الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل» (٣). وكفارته قوله صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم» (٤).

****

---

(١) وهو: كل وسيلة أو ذريعة إلى الشرك الأكبر، ومن أحسن ما يُعرّف به الشرك الأصغر هو: كل قول أو عمل أطلق عليه الشرع وصف الشرك، ولا يصل إلى الشرك الأكبر.

ويعرف ذلك بالجمع بين الأدلة.

وهو على قسمين: ١- باطن؛ كالرياء اليسير، والعجب، وحب الشهرة.

٢- ظاهر؛ كالحلف بغير الله، وقول: «ما شاء الله وشاء فلان»، والحلف بالأمانة.

(٢) وهو أكبر؛ كالشرك في الربوبية والنفاق الأكبر، وأصغر؛ كيسير الرياء، إلا إذا كان العمل خالصًا لغير الله ﷻ كما هو حال المنافقين؛ فيكون مخرجًا من الملة، ولا يصدر هذا من مسلم، والله أعلم.

(٣) حسن بشواهده: وهو جزء من الحديث الآتي.

(٤) ولفظه: عن معقل بن يسار قال انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (يَا أَبَا بَكْرٍ لَلشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ) فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلِ الشِّرْكُ إِلَّا مَنْ جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخر؟ قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟ قَالَ: (قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ وَأَسْتَغْفِرُكَ لما لا أعلم)، وصححه العلامة الألباني.

الكفر كفران[(١)]

الأول: كفر يخرج من الملة: وهو خمسة أنواع[(٢)]:

---

(١) تعريف الكفر الأكبر: (كل قول أو عمل أو اعتقاد أطلق عليه الشرع وصف الكفر، وهو مخرج من الملة).

تقسيم الكفر ونحوه إلى أكبر وأصغر هو الذي دلت عليه الأدلة، كما هو موضح في قواعد التوحيد:

(الشركُ والكفرُ والظلم والفسوق ونحوها قسمان: أكبر مخرجٌ من الملة، وأصغر غير مخرج من الملة).

وهذا مجمَعٌ عليه عند أهل السنة والجماعة، فالأكبر كما سبق ذكره، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [سورة لقمان:١٣]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [سورة النساء:٤٨]، ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [سورة غافر:١٨] ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ (٥٩) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٦٠)﴾ [سورة الذاريات:٥٩، ٦٠]، فهذا أكبر.

والأصغر كقوله ﷺ للنساء: «وَأُرِيتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» قَالُوا بِمَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «بِكُفْرِهِنَّ» قِيلَ: يَكْفُرْنَ بِاللهِ ؟ قَالَ: «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطّ» متفق عليه.

وكقوله صلى الله عليه وسلم: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ».

وهذا لا يخرج من الملة لمن لم يستحل.

بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فسماهم جميعًا مؤمنين وقد بسطنا الكلام على هذا -أيضاً- في عدة مواضع.

(٢) مرجع أنواع الكفر إلى هذه الخمسة والسادس كفر الإنكار كما ذكره ابن القيم في مدارج السالكين.

النوع الأول: كفر التكذيب:

والدليل قوله تعالى:﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨] (١).

النوع الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق:

والدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤] (٢).

النوع الثالث: كفر الشك، وهو كفر الظن:

والدليل قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف:٣٥ - ٣٨] (٣).

النوع الرابع: كفر الإعراض:

والدليل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣] (٤).

---

(١) كفر التكذيب: هو اعتقاد كذب الرسل، ويكون بالقلب.

(٢) كفر الإباء والاستكبار: لا يجحد الحق بل يتكبر عن قبوله مع علمه أنه الحق كحال إبليس.

(٣) كفر الشك: وهو التردد والارتياب في صدق الرسول ﷺ أو ما جاء به، أو في قدرة الله تعالى ونحو ذلك، قال تعالى في صاحب الجنة الذي قال: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ فقال له صاحبه:﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾.

(٤) كفر الإعراض: قال ابن القيم: كفر الإعراض أن يعرض بسمعه وقلبه عن الله تعالى ورسوله ﷺ لا يصدقه ولا يكذبه ولا يعاديه ولا يقبل ما جاء به. وتقدم في نواقض الإسلام.

النوع الخامس: كفر النفاق:

والدليل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣] (١).

****

(١) كفر النفاق: أن يظهر الإسلام ويبطن الكفر.

ونوع سادس وهو: كفر الإنكار: وهو ألّا يعرف الله تعالى بقلبه ولا بلسانه، ولا يعترف به، ككفر الدهرية، وهو داخل في كفر التكذيب. كما قالت الدهرية: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب الوصابي رحمه الله تعالى في (القول المفيد): فأما الكفر الأكبر: وهو المخرج من الملة؛ فأقسام هي:

١- كفر التكذيب.
٢- كفر الجحود.
٣- كفر الإنكار.
٤- كفر الاستهزاء والسخرية.
٥- كفر الإباء والاستكبار.
٦- كفر العناد.
٧- كفر الإلحاد.
٨- كفر الشرك.
٩- كفر الشك.
١٠- كفر الإعراض.
١١- كفر النفاق.
١٢- كفر الزندقة.
١٣- كفر الموالاة لأعداء الإسلام.
١٤- كفر الردة.
١٥- كفر المنجمين والسحرة.
١٦- كفر من يصدّق المنجمين والكهان.
١٧- كفر الاستحلال.

وذكرنا شرحها هنالك، ولكن مرجعها إلى ما سبق.

[الكفر الأصغر]

النوع الثاني من نوعي الكفر: وهو كفر أصغر لا يخرج من الملة(١):

وهو كفر النعمة، والدليل قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

****

(١) أما الكفر الأصغر فتعريفه: (كل قول أو عمل أطلق عليه الشرع وصف الكفر، وليس مخرجًا من الملة).

وبين الكفر الأكبر والكفر الأصغر فروق كثيرة ومنها ما سبق في التعريف: أن الأكبر مخرج من الملة، وأن الأصغر غير مخرج من الملة.

ومنها: أن الكفر الأكبر ينافي الإيمان والإسلام منافاة تامة.

وأما الكفر الأصغر فينافي الإيمان والإسلام منافاة ناقصة، وأن صاحبه مسلم له أحكام المسلمين.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القول المفيد: وأما الكفر الأصغر: وهو غير المخرج من الملة؛ فأقسام منها:

١- كفر النعمة. ٢- كفر الأخوة.

٣- كفر العشرة. ٤- كفر الطعن في الأنساب.

٥- كفر النياحة على الميت. ٦- كفر الرغبة عن الأب.

٧- كفر الحكم بغير ما أنزل الله إذا لم يستحل. أ.هـ

وهناك أمثلة أخرى كترك الصلاة، وإباقة العبد، وترك الزكاة، وتكفير المسلم.

النفاق نوعان: اعتقادي وعملي[١]

النفاق الاعتقادي[٢]:

ستة أنواع صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار:

الأول: تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم.

الثاني: تكذيب بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

الثالث: بغض الرسول صلى الله عليه وسلم.

الرابع: بغض بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

الخامس: المسرة بانخفاض دين الرسول صلى الله عليه وسلم.

السادس: الكراهية بانتصار دين الرسول صلى الله عليه وسلم[٣].

---

(١) سبق أن الكفر والنفاق قسمان، وهذا رد على الخوراج والمعتزلة ونحوهم الذين يجعلونه كله أكبر.

(٢) النفاق الاعتقادي: فهو أن يظهر صاحبه الإسلام ويبطن الكفر.

وصاحب هذا النوع يعامل حسب ظاهره في الدنيا وهو كافر في الباطن، وإذا مات عليه فهو في الدرك الأسفل من النار.

(٣) وهذه كلها تدخل في الناقض الخامس من نواقض الإسلام.

ومن صفات هؤلاء المنافقين:

الاستهزاء بالدين وأهله، وموالاة الكافرين، والجهل بالدين، والإفساد في الأرض، والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وكثرة الحلف، ولمز المؤمنين... إلخ.

وتوسع ابن القيم في ذكر صفات المنافقين فتجاوز بها الثلاثين.

النفاق العملي[(١)]:

النفاق العملي خمسة أنواع. والدليل قوله صلى الله عليه وسلم: «آية المنافق ثلاثة: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان»[(٢)] وفي رواية: «وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر»[(٣)].



(١) وسمي نفاقًا لأن هذه الصفات تكثر في المنافقين، فمن أكثر منها فقد تشبه بهم.

ومما يدخل في النفاق العملي أيضًا:

١- التكاسل عن صلاة الجماعة وصلاة الفجر والعشاء.

٢- الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه.

٣- مجالسة المنافقين.

٤- التكاسل عن الجهاد في سبيل الله تعالى، وغير ذلك.

(٢) متفق عليه (خ ٣٣) (م ٥٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه (خ ٣٤) (م ٥٨) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه[١]

اعلم ـ رحمك الله تعالى ـ أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

فأما صفة الكفر بالطاغوت: فأن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتكفر أهلها وتعاديهم[٢].

وأما معنى الإيمان بالله: فأن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون من سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم، وهذه ملة إبراهيم التي سفه من رغب عنها.

وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤][٣].

والطاغوت عام، فكل ما عبد من دون الله، ورضي بالعبادة، من معبود، أو متبوع، أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت[٤].

---

(١) والطاغوت هو: الذي يتجاوز الحد إما بشركه وكفره، وإما بدعوته إلى ذلك.

(٢) وتقدم أن من قواعد التوحيد البراءة من الشرك وأهله.

(٣) الشاهد من الآية براءة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ممن أشرك، وذلك اصل في صحة التوحيد.

(٤) ويشمل غير ذلك مما فيه تجاوز وطغيان وكفر.

والطواغيت كثيرة ورءوسهم خمسة[(١)]:

الأول: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله، والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٠][(٢)].

الثاني: الحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالى، والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠][(٣)].

الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤][(٤)].

الرابع: الذي يدعي علم الغيب من دون الله، والدليل قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۞ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧][(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

---

(١) أكبر الطواغيت خمسة، وغيرهم كثير لا كثرهم الله تعالى.

(٢) إبليس كبير الطواغيت لأنه أصل وجود الشرك والكفر في الأرض.

(٣) من ترك حكم الإسلام واستبدل حكم الله تعالى بغيره كالأعراف أو القوانين أو غيرها في بلده من الحكام والقضاة ونحوهم فهو طاغوت كما قرره الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى.

(٤) دليله قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾. وفي كفره التفصيل السابق في نواقض الإسلام.

(٥) كالسحرة والكهان والمنجمين، وهم ممن يدخلون في الآية السابقة.

الخامس: الذي يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩] [١].

واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمنًا بالله إلا بالكفر بالطاغوت، والدليل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

الرشد دين محمد – صلى الله عليه وسلم –، والغي دين أبي جهل، والعروة الوثقى شهادة أن لا إله إلا الله، وهي متضمنة للنفي والإثبات، تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله تعالى، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات[٢].

❊❊❊❊

(١) من عبد من دون الله تعالى برضاه فهو طاغوت ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾.

(٢) **والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.**

الفهرس

